المناظرة والمراسلة

قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناهُ ترغيباً في المعارف وانهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان. ولكنّ العهدة في ما يدرج فيه على اصحابه فنحن براء منهُ كلهِ. ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمهِ ما يأتي: (١) المناظر والنظير مشتقّان من اصلٍ واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق. فاذا كان كاشف اغلاط غيرهِ عظيماً كان المعترف باغلاطهِ اعظم (٣) خير الكلام ما قلّ ودلّ. فالمقالات الوافية مع الايجاز تستختار على المطوّلة

الاحتيال للتخلص من ضيق الاحوال

تمهيد في الحياة

الحياةُ الحياة تيهٌ سحيقٌ ضلّ فيهِ النهى وهيهات يُرشَدْ
حار فيها عقل الحكيم وامسى عندها علمهُ كجهلٍ مؤكّدْ

اين اللوذعيُّ الناقد البصير. بل الفيلسوف العلّامة النحرير. فينهض ببصرٍ يتطاير من نار حدقتهِ الشرر. وبصيرةٍ ينبو لدى حدّها حد الصارم الذكر. ويطلُّ من شرفة التبصر والامعان. مطلقاً لجواد فكرهِ في قفار البحث عن الحياة العنان. حتّى اذا ما رجم الظنون وهام في مفاوز الحدس والتخمين. وجعل تخم الشك مرمى عصاهُ وقال تلك غايتي والله من وراء القصد. يشير الى الكاتب البليغ ان يجيد الوصف في امر الحياة العجيب. "الحياة حيرة العلماء" ويبالغ في تعظيم سرها الغريب. ما اتّسع للفريحة نطاق وانبسط فضاء

انظر تجنحها في النبات والحيوان تحتال على البقاء وتساور الطبيعة في ابتناء. وتنازعها الخلود. وتثبت تجاه الآفات المتنوعة والرزايا المتعددة ثبات الحجر الجلمود. متحملة آلامها. متّقية بدرع الصبر سهامها. حتّى تجد منها براثن الموت مقبضاً يعدمها من الافلات مطمعاً. وتصيب سهامهُ فيها مطمعاً لا يدع في قوس الحياة منزعاً. فيستولي على حركتها الخمود. ويطمس العدم آثارها من معالم الوجود

أيُّها الرّدى رُوَيدَكَ أمسِكْ عن أذانا كم جهد ما تتكبّدْ
ما علينا اضرُّ منك فيا ما كان احلى الوجود لو كنت تُفقَدْ
ما نقيضُ الحياة مثلك شيءٌ فهي دوماً معدومة حيث تُوجَدْ
وهي نور يسير في الجسم لكن حين تسري اليهِ ربحك يُخمَدْ

قوةٌ تستطيع تحريك آلا ت عظامٍ بلمس كفك تنفذْ
واذا غازها بأسهم جذبٍ منك يرمى لا بدَّ من ان يُبرَدْ

ذلك حدٌّ ما قضيَ على معرفتنا ان نقع عليهِ من البحث عن الحياة وحظر علينا ان نتعدّاهُ الى ما وراءهُ فلم نهتدِ الى كيفيَّة مدخلها ومخرجها في الاجسام وهو حسبنا فيما نحاول ايرادهُ الآن فلا نأسف على عدم استطاعتنا ادراك الباقي من امرها العجيب. وحلّ العويص من سرّها الغريب. ولعلّ التوفيق الى تلك المعرفة كان يبعثنا على الحزن اكثر مما يبعثنا نظرنا تغلب الموت على حياتنا في نهاية مصارعاتها معهُ ومنازعاتها

ولو استقرينا تاريخها في الاجسام الحيَّة منذ بداءتهِ الى الآن لوجدناها جارية على هذا المنهج ولم تشذَّ عنهُ قط. تأملها في ادنى النبات كما في انواع الانسان ارفع انواع الحيوان تجدها واحدة في الاحتيال والمنازعة الى البقاء على رغم عوادي الآفات الارضيَّة والتغيرات الجويَّة وهذا وان كان يحتاج الى البسط والافاضة والتطويل في التمثيل لا اشتغل بهِ عما هو مطمح نظري في هذه المقالة فاجتزئهُ بهذا القدر من التلميح رعايةً لضيق المقام. وانتقدم نحو ما وقفت عليهِ استطاعتي في اشباع الكلام

الاحتيال في المعيشة

دع النباتَ ناحية وذر الحيواناتِ العجمَ جانبًا وانظر ايها الانسان الى الانسان وابحث انت نفسكَ عن نفسكَ وانعم النظر في امر معيشتك وما تنصبهُ لاجلها من ضروب المكر والاحتيال. واسالب الدهاء التي انما عندها غاية التعجب ومحط رحال الاندهال

وليس ذلك شانك وحدك فقط فقد سبقك اليهِ كل فردٍ من بني نوعك من سالف الازمان بل يمكن حصر القول ان الاحتيال في المعيشة اول باب طرقهُ الانسان منذ ما لفظت بهِ حبلى العدم في حضن الوجود فبنى سرادق دهائهِ واحتيالهِ وجلس على عرش السيادةِ على مملكة الارض التي صنوف رعاياها الجمادية والنباتية والحيوانية لا تحصى وانواع ارزاقها لا تستقصى. وسخَّرها بما دفعتهُ اليهِ الفطرة وقادتهُ الغريزة للقيام بحاجات معيشتهِ فاستخدم جمادها مسكنًا ونباتها وحيوانها ماكلاً وملبسًا بان نحت الاول بيوتًا واستنبت الثاني خيراتٍ وفوائد وذلّل الثالث فعنا اليهِ منقادًا وغذّاهُ بالفصلان والحملان. ورواهُ بالادهان والالبان. وكساهُ بصوفهِ وشعرهِ. وحملهُ واشياءهُ على ظهرهِ. وهكذا ما فتئ الانسان يدأبُ ويحتال منضًّا ملحًّا متوالدًا متناسلاً حتَّى انتشر في الارض فصائل وقبائل. وضرب في مجاهيلها بطونًا وافخاذًا ساعيًا وراء معيشتهِ ومحتالاً في تحصيلها ثم تدرَّج من البهجية الى

التمدن وخرج من البداوة الى الحضارة فاخذ يسأم البساطة في المعيشة و يتزع الى التانق والزخرفة فشعر بحاجة الوسائط وعضّته ظروف الاحوال بناب الفقر الى الاسباب فتنشّم في الاختراع وتسنّم غارب الاستنباط فرغب عن مضارب الشعر الى الاكواخ الطينيّة ثم استعاضها بالقصور الحجرية وحنح عن المآزر النباتية الى الملابس الصوفية والطيالس الحريرية ثم أوغل في العمران فبنى ومهّد ومدّ وحفر فقاست المدن وتألّفت البلدان وصارت القارات وامعن في الاكتشافات والاختراعات فتوفرت الوسائط وتيسّرت الذرائع ولمّا ضاقت عليه فسحات البرّ بما رحبت عمد الى البحر فغاص في لججه واستخرج كنوزه وبحر في عبابه بجواريه المنشئات استكشافًا للمجهولات واستحكامًا للعلاقات بين سكان القارّات وما برح يدأب ويكدّ ويسعى ويجدّ في اتقان صيغة الحضارة واحكام هيئة العمران . حتّى اوصلها الى ما هي عليه الآن وسيزيدها كمالاً و يكسبها على تراخي الايام رونقًا وجمالاً

هذا اجمال من تفصيل وايجاز من تطويل في احتيال الانسان ودهائه في المعيشة ومنة وقعنا على كنايتنا من الاستدلال على استخدامه الاحتيال في مطلق شؤونه وسائر احواله بحيث كان لا يعبس في وجوه ضيق الأبسم له الاحتيال عن ثغر الفرج ولا يطبق عليه العسر حتّى تدور من لدن الدهاء مياسيرُ وشاهدنا عليه في الوقت الحاضر اهل الغرب فانهم غاية في الدهاء وآية في المكر والاحتيال وربما كان هذا السرّ الوحيد في ارتقائهم وفوزهم علينا في ميدان الحضارة بحوز قصبات السبق والتقدم ولم تعد عندهم ضروب الاحتيال واساليبه محصورة في كيفيّة تسخير الحيوان الاعجم واستخدام النبات والجماد كما كانت عند الانسان في ايام الهمجيّة والبداوة بل نصبوا شراكها في طريق معاملاتهم معنا واخفوا مصائدها بعضهم لبعضهم ايضًا اما احتيالهم علينا فظاهر من أنهم يعاملوننا معاملة الصياد للسمك وكفى به احتيالاً

يرقوننا بزخارف بضائعهم ويسبوننا ببارق منسوجاتهم ومصنوعاتهم وسائر أشيائهم ويموهون علينا بظاهر نقدهم فنطيش براح التقليد ونستهوى بحب المتابعة والاقتداء فتتهالك على البذخ تبذيرًا واسرافًا . ونتسافط على بذل الاموال في المصروف سماحًا جزافًا . ونحن تتفانى في تحصيلها ونستنزف دماء القلوب لاجلها استنزافًا . ونجهر بأصوات الشكوى من ضيق الحال . ووقوف حركات الاشغال . بينما هم راتعون في بحبوحة الرخاء ومتمتعون برغيد العيش ونعيم البال . وما ضيق الاحوال الاّ نتيجة ذلك الاحتيال

احتالوا في بداءتهم للمعيشة بداعي الحاجة فتعلموا وزرعوا وغرسوا فاجتنوا . واصطنعوا

واحترفوا وتاجروا فاغتنوا واثروا اثراء عظيمًا مكّنهم من غرس دوحة التمدّن في ارضهم فلما صارت شجرة عظيمة اصلها ثابت وفرعها بسقت اغصانها وورفت ظلالها فاخرجت ثمارها التي اذ رأوها تزيد عن حاجتهم واشفقوا من فسادها زجوها الينا فآنسنا فيها رنح اللذة فتزاحمنا الى مشتراها وشرهنا الى اكلها

" كم اكلةٍ حسنت للمرء قاتلةٍ من حيث لم يدرِ أن السمّ في الدسم "

وما زلنا نحضر سوق تلك الثمار . ونبذل في شرائها عزيز الدرهم وغالي الدينار . حتّى صفر الوعاء . وقرع الفناء . وصرنا الى اسوإ حال في ضيق الاحوال . وفي هذا القدر كفاية من بيان ما لم علينا من ضروب الاحتيال

اما احتيالهم بعضهم على بعض فظاهر من أنّ كل أمة منهم واقفة بالمرصاد للامة الاخرى تراقب حركات اعمالها وتفحص بعين التأمل جميع احوالها . فتنتج هذه في ارضها ما تحتاج اليه تلك وتصطنع تلك في معاملها ما تفتقر اليه هذه وترفع المكوس عن الصادر وتضربها على الوارد لتسهل الطريق في وجه ذاك وتصعبها في وجه هذا . على انهم اذ كانوا متكافئين في قوة التدبير والاحتيال كانوا متساوين بالنتيجة في قوة جلب النفع ودفع الضرر الماديين وعليه فلا يظهر استجلابهم للمنافع ونبذهم للاضرار الاّ بمعاملاتهم الخارجية مع مصر وسورية وغيرها من البلدان التي لم تجارهم بعد في التمدن ولن تجاريهم الاّ اذا سلكت في طريق الاحتيال التي يسلكونها هم

وقد علمنا من التقرير الذي اثبته المنتطف الاغر في الجزء الثالث من المجلد الثاني عشر عن تكاثر الغلال الباعث على رخص اسعارها وانحطاط قيمتها وان رخصها هذا من دواعي ضيق الاحوال فترتب علينا منة ان نتدرب الى اهمال الغلال كالحنطة والذرة والشعير وغيرها من الحبوب التي ان اخصبت واغلّت وهو نادر وزادت عن حاجة الفلاح ومواشيه لا نجد لها طالبًا لرخص اسعارها وكثرة الحاصل منها في غير بلادنا وان اصابها الجدب وهو الغالب فيها اماتت الفلاّح وبعث اصحاب الاراضي على شفير الخراب وشاهدهُ اهل بلادنا (ولا سيما سكان اللاذقيّة)

وعليه فلنوفّ الارض حقّها من الاعتناء ونصرف الاحتيال في النظر الى المفيد من استدرار خيراتها فنهمل الحبوب الاّ المحتاج منها لعلف المواشي وتعوّض بالاغراس الموافقة كالكرم والزيتون والحرير التي وان كانت اسعار بعضها رخيصة فتجارتها رابحة في كل حال نظرًا لتحقق إغلالها وقلة نفقاتها . وليبذل الجهد في اقامة الغياض الصالحة للاخشاب

المصلحة للهواء حيث المستنقعات الباعثة على زيادة الامطار حيث يخشى انحباسها المفيدة لتربية الانعام والمواشي وتسريحها في المراعي الخضراء والمخائل الميلاء سائمة لا علافًا نحافًا بحث يضرب المثل في دمامتها وهزالها "البقر الدميمة التي في جبال النصيرية" فتجود علينا الارض باللبن والعسل وتغذينا ماشيتها باللحوم والادهان وتغنينا بالصوف والشعر ولا نخافن قحطًا او غلاء نموت فيه جوعًا والحبوب صارت في كل قطر اهون من قمبس عند عمّه

وانه ليأسف السوري كل الاسف حينما يرى في بلاده سهولاً ريانة جيدة التربة كسهول اللاذقية غاية في الصلاحية لغرس الاشجار وانتاج الثمار متروكة لعناية فلاحها الخامل الجاهل الكسلان لا يعرف من حراثة الارض سوى ما ورثه من سالف اجداده من تخديش وجهها بآلته المخلعة المعطلة و بذر الحنطة والشعير فيها باواخر الخريف وزرع قليل من القطن وشيء من السمسم والذرة في اواسط الربيع وصرف بقية الايام مستلقيًا على ظهره صيفًا ومصطليًا شتاء على نار اشجار الزيتون التي تقطعها يده الاثيمة (المستوجبة القطع) ان تعذّر على امرأته الخروج الى الحراج للاحتطاب . وهذان الموسمان قلما يخصبان معًا في عام واحد وان اخصبا فدخلها لاصحاب الاملاك السالم من سرقة الفلاح لا يوازي النفقات والمصاريف . هذا ولم اذكر المعادن والصناعة في عرض الكلام لان الاولى تقريبًا معدومة واما الثانية فاليتها كانت معدومة فتريح النفس من ألم الانكسار عند رؤيتها محصورة في حرف بعيدة عن الاتقان . بُعد المستحيل عن الامكان . وفي حرف غاية في الجودة والاحكام ولكنها مدوسة باقدام بضاعة اهل الغرب وهذا مبعث النظر ومدعاة الاهتمام . فاذًا لنا مندوحة بواسطة التدبير والاحتيال . ان اردنا التخلص من ضيق الاحوال . والاّ فدعوانا بالضيق باطلة . وشكوانا من حلى التصديق عاطلة

اللاذقية اسعد داغر

كل متغير فامّا حادث واما عائد

اعتراض على المادّيين

المقصود بالعائد هنا ان الشيء المتغير مهما تعددت تغيراته وطالت فلا بدّ من عوده الى الدرجة التي يعتبر انه بدأ منها ومروره على التغيرات او الاحوال التي مرّ عليها اولاً فهو اشبه بالسير على دائرة فمهما اتسعت الدائرة فلا بدّ من الرجوع الى نقطة البداءة وتكرار السير الاول نفسه

فالاكوان متغيرة على ما نعلمهُ من الهيئة السديميَّة الى الهيئة التي هي عليها الآن فهي اما حادثة اي مخلوقة واما عائدة اي لا بدَّ من عودها الى الهيئة السديمية التي لا بدَّ انها عادت اليها ملايين ملايين لا تحصى من المرات ومثلها كذلك عادت الى هيئتها الحاضرة فهي اذ ذاك سائرة على دائرة من الاحوال

فان قلتم انها لا تعود والدائرة لا تصح فقد وجب عليكم التسليم معنا بالخلق وان قلتم انها تعود وتسير على دائرة او بالاقل على اولب واثبتم ذلك ببراهين قاطعة نفهمها فقد وجبنا التسليم بازليتكم وطبيعيتكم

اما الاول اي عدم العود او الدور و بالايجاب الخلق فانتم تنكرونهُ واما الثاني فلم نرَ منكم براهين موجبة لهُ سوى الكلام عن القوة والقوة شيء غير مدرك في ذاتهِ فتخمن عليها تخمينًا والتخمين لا يستحق ان يبنى عليهِ يقين . وفي ما تيسَّر لنا الاطِّلاع عليهِ من كتاباتكم لم نرَ وصفًا موضحًا لهذا الدور وانما جاء في المُقتطف مرةً ما مفادهُ ان الاثير المالئ الفضاء يعيق حركة الاجرام الدائرة حول مراكزها بمصادمتهِ لها فاذا قلَّت سرعتها بهذه المصادمة ضعفت قوة تباعدها عن ذلك المركز فتغلب حينئذٍ قوة التجاذب بينها فتسقط على الجسم المركزي ومن قوة الاصطدام تشتعلان وعلى هذه الكيفيَّة تعود جميع الاجرام السموية الى الهيئة السديمية ثم تنفصل من جديد ثم تسقط وهلمَّ جرًّا اجتماع وانفصال ابديَّان ازليَّان فتحققت ان هذا الراي الموضح الازلية عندكم اذ لم نرَ مقدمة خلاف هذه تبنى عليها وتفسَّر بها احوال الازل

فهذا الدور لا نرى امكانًا لاتمامهِ على هذه الطريقة بواسطة الاثير اولاً من مراعاة سنن الكون ومراقبة حركاتهِ وثانيًا من مرعاة طبيعة الاثير على الوصف الذي تصفونهُ بهِ في حقيقتكم ووصفكم علاقة المادة بهِ وذلك بناء على الملاحظة الآتية

(١) لو كان الاثير يقاوم حركة الاجرام لظهر ذلك في مقاومتهِ حركة الارض فكان يشعر الباروميتر والحرير بهذه المقاومة صباحًا فيرتفع الاول لضغط الاثير على الهواء و ينجزر الثاني لضغطهِ على سطح الماء وهذان الامران غير ظاهرين . وايضًا بما ان الارض دارت حول الشمس بعد انفصالها عنها ملايين كثيرة من الدورات فلو قاوم الاثير حركتها اقل مقاومة لسقطت على الشمس منذ زمان طويل مثلاً لو اعاقها في كل دورة عشر الثانية وذلك لا يمكن ان نتصور اقل منهُ لا بطل حركتها تمامًا في اقل من ثلاثماية وعشرين مليون سنة على ان سقوطها على الشمس لا يحتاج الى وقوف دورتها بالكلية ولا الى خسارة نصف سرعتها ولا

الى خسارة ربعها . على ان تاريخ انفصالها عن الشمس لا بدَّ انهُ اطول من هذهِ المدة اذا كانت الحياة وجدت عليها منذ ملايين كثيرة من السنين . وايضاً ربما كان يظهر اختلال في النسبة بين دورانها حول المركز ودورانها على محورها وكان لا بدَّ من الشعور بنقص في اقطار افلاك السيارات واقطار افلاك اقمارها على ان علم الفلك لا يشير الى اقل شيء مثل ذلك في كل الاجرام التي تيسر لهُ ان يضبط حركاتها

(٢) لو فرضنا ان الاجسام الدائرة كالارض مثلاً تسقط على مركز فلكها فلا نصدق بان مجموع الحرارة المتولدة من المصادمة حينئذٍ يساوي مجموع الحرارة التي كانت فيها قبل انفصالها حينما كانا سديميًا وذلك لان سقوطها عليها لا يكون بكل قوة التجاذب التي بينها بل يكون بقسم منها الذي هو فضلة قوة التجاذب الغالبة على قوة التباعد عن المركز المغلوبة . فبناء عليهِ ارى ان الاكوان تخسر من حرارتها دورًا بعد دورٍ على هذه الطريقة حتَّى تجمد اخيرًا جميعها كتلة واحدة باردة ولا يشذّ لها الانفصال بعد ذلك فيقف الدور

(٣) ان كان الاثير يؤثر في المادة بان يقاوم حركتها فيكون ان ما تبدد من قوة المادة في الاثير لا يرجع اليها ويكون انها في خسارة دائمة منذ الازل وقوة حركة الاجرام محدودة فلا بدَّ انها كانت فقدت منذ ازمان طويلة واصبحت الآن ساكنة باردة ماتتة . واذا تكلمنا الى غير هذه النتيجة نقول انهُ كان اكتسب الاثير جانبًا من حركة المادة حتَّى تساويا في الحركة واتفقا معًا متطاوعين السير كما يتطاوع الماء والاغذا العائمة على وجههِ و بالتجاذب والتصادف تجتمع المادة في كتلة واحدة او كتل ونهاية امرها انها تحمل بهذا البحر من الاثير كيفما شاء توجهها وفي فاقدة الحرارة مصابة بالتيبس الموتي لا تبدي حراكًا

(٤) اذا صح رأي السر وليم طمسن في ان الجوهر الفرد حلقات زوبعيَّة في الاثير وان الاثير حسب تعريفكم مادة لطيفة نافذة في كل الاجسام فلا يمكن اذّاك ان يقاوم الاجسام في حركتها وذلك اولاً لانهُ يخترق المادة فتر فيهِ ولا تشعر بمقاومتهِ كما ان النور والحرارة يخترقان المادة ولا تشعر بمقاومتها . ثانيًا لان جواهر المادة لا تمر بين اجزاء الاثير دائمةً ما امامها الى جوانبها بل تنتقل انتقالاً من جزء منهُ الى جزء بعدهُ بحيث كل جزء منهُ يكون في طريقها يدخل في تأليفها حين وصولها اليهِ ولا يصدمها والجزء الذي الفتها قبلهُ يثبت في محلهِ عائدًا الى طبيعتهِ الاثيرية السابقة فلا يكون ذلك الجوهر شيئًا وذلك الجزء من الاثير شيئًا آخر بل يكون الاول هو نفس الثاني فلا يفعل الشيء بنفسهِ فهو اشبه بالموجة التي تظهر انها سائرة على وجه البحر فالماء لا يمشي معها ولا يقاومها بل يدخل في تأليفها لحظة ثم يسكن

(٥) لا يؤثر في القوة الاَّ القوة والقوة محصورة في المادة لاسوى والمفهوم من كلامكم ان الاثير ليس لهُ شيءٌ من خواص المادة ان لم يدخل في الزوبعيَّة واذا دخل في الزوبعيَّة كان المادة عينها فكيف يقاومها . فنرجوكم الافادة عن كل ذلك ولكم الفضل

ابراهم الصليبي

[المُقتطَف] وردت الينا هذهِ الرسالة منذ مدَّة طويلة فاغفلناها لما فيها من الاحكام الخالية من الدليل ولانها تنسب الى المُقتطَف آراء لم يرتئها قط ولا تابعوها ولكن طلب الينا كثيرون ان ننشرها وننقد ما فيها فاجبنا الطلب في نشرها اما التنقيد فربما افردنا لهُ فصلاً في فرصة آخرى وحسبنا الآن ان نقول ان المُقتطَف لم ينكر الخلق قطولا اثبت ان الاثير يقاوم حركات السيارات ولا اثبت رأي طمسن ولا يرى مناقضة بين القول بان الله سبحانهُ خلق العالمين و بين القول بان للعالمين ادوارًا تكون فيها حطامًا ثم سدامًا ثم عوالم ثم تحترق وتخرب وتعود حطامًا ثم سدامًا وهلمَّ جرًّا الى ما شاء الله وهو في ذلك متابع لاشهر علماء الطبيعة واشهر علماء الدين

أَلخير في الحضارة أَم الشر

حضرة منشئي المقتطف الافاضل

رأيت للعلاَّمة الفيلسوف ابن خلدون كلامًا في مقدمتهِ حريًّا بان ينظر فيهِ بعين الانتقاد فقد قال في الكلام على العمران البدوي ما نصهُ

"ان اهل البدو اقرب الى الخير من اهل الحضر وسببهُ ان النفس اذا كانت على الفطرة الأُولى كانت متهيئة لقبول ما يرد عليها و ينطبع فيها من خير او شر قال صلَّى الله عليهِ وسلم كل مولود يولد على الفطرة فابواهُ يهوِّدانهِ او ينصرانهِ او يمجسانهِ . و بقدر ما سبق اليها من أحد الخلقين تبعد عن الآخر و يصعب عليها اكتسابهُ . فصاحب الخير اذا سبقت الى نفسهِ عوائد الخير وحصلت لها ملكتهُ بعُد عن الشرّ وصعب عليهِ طريقهُ وكذا صاحب الشرّ اذا سبقت اليهِ ايضًا عوائدهُ . واهل الحضر لكثرة ما يعانون من فنون الملاذ وعوائد الترف والاقبال على الدنيا والعكوف على شهواتهم منها قد تلوَّنت أنفسهم بكثير من مذمومات الخلق والشرّ و بعدت عليهم طرق الخير ومسالكهِ بقدر ما حصل لهم من ذلك حتَّى لقد ذهبت عنهم مذاهب الحشمة في احوالهم فتجد الكثير منهم يفذعون في اقوال الفحشاء في مجالسهم

وبين كبرائهم واهل محارمهم لا يصدُّهم عنه وازع الحشمة لما أخذتهم به عوائد السوء في التظاهر بالتواحش قولاً وعملاً واهل البدو وان كانوا مقبلين على الدنيا مثلهم الاَّ انه في المقدار الضروري لا في الترف ولا في شيء من اسباب الشهوات واللذات ودواعيها فعوائدهم في معاملاتهم على نسبتها وما يحصل فيهم من مذاهب السوء ومذمومات الخلق بالنسبة الى اهل الحضر اقل بكثير فهم اقرب الى الفطرة الاولى وابعد عمَّا يطبع في النفس من سوء الملكات بكثرة العوائد المذمومة وقبحها فيسهل علاجهم عن علاج الحضر وهو ظاهر وقد توضح فيما بعد ان الحضارة هي نهاية العمران وخروجهُ الى الفساد ونهاية الشرّ والبعد عن الخير فقد تبيَّن ان اهل البدو اقرب الى الخير من اهل الحضر"

هذا ما قاله ابن خلدون الاَّ اننا تراكم تذهبون الى غير ما ذهب اليه فقد قلتم في الكلام على مستقبل الانسان ومصير العمران في الجزء الثالث من المجلد الخامس عشر ما نصهُ

"والمرجح ان سبيل البشر الحالي آيل الى ارتقاء نوعهم رغمًا عما يُرى فيهِ من الشرور والمفاسد. فالعلماء لا يكفُّون عن البحث في نواميس الكون لكي يحذر الناس تعديها ويتنفعوا بها. والفضلاء يدأبون على رفع المظالم وتخفيف المتاعب. خذ مثلاً لذلك كوخ وهورَد فالاول اكتشف باشلس السل واكتشف علاجًا لهُ فنجَّى خمس البشر من حياة مفعمة بالاكدار وميتة يضرب بها المثل في الآلام (كان ذلك قبلما ثبت ان لا فائدة من علاجهِ). وهورَد طاف السجون وحثَّ الملوك على اصلاح شأن المسجونين فدعا صنيعهُ الى الاهتمام بامر المجرمين وحسبانهم من المرضى عقلاً الذين يجب علاجهم لا تعذيبهم. ولو اردنا ان نعدد الشواهد على المنافع التي جناها البشر من رجال العلم والفضل لملأنا مجلدات ضخمة. ويظهر في بادىء الرأي ان الشرور كرؤوس الهيدرا في خرافات اليونان كلما قُطع منها رأس نبت مكانهُ رؤوس. وحقيقة الامر ان شمس التقدُّم تُظهر الشرور وليل التأخر يخفيها فقد ادَّعى بعضهم ان الجرائم كثرت في الولايات المتحدة بكثرة المدارس وانتشار التعليم ثم عُلم بالبحث ان الجرائم كانت اكثر كثيرًا قبل ذلك ولكن الحكومة لم تكن تنتبه اليها كلها. وهكذا يقال في اكثر الشرور التي يظهر انها زادت بزيادة التقدُّم والارتقاء

والنظام الحالي يأول الى زيادة الاهتمام بتعليم النساء وهنَّ متى تعلمنَ صار لهنَّ كلمة في اختيار ازواجهنَّ فيفضلنَ الاديب على السفيه والقوي على الضعيف والعالم على الجاهل وهذا من اقوى وسائط الانتخاب

ثم ان المولودين من الذكور يزيدون الآن على المولودين من الاناث ولكنهُ يموت من

صغار الذكور اكثر مما يموت من صغار الاناث فلا يصل الفريقان الى سن الزواج حتى يكون الاناث قد صرن اكثر من الذكور عددًا . والشائع في اكثر البلدان ان الرجل يتزوج بامرأة واحدة فيبقى كثيرات من البنات بلا زواج وهذا مما يقضي بالانتخاب للزوج لا للزوجة اي انهُ هو الذي ينتخب زوجتهُ . ولكثرة النساء يجد الضعاف من الرجال زوجات راضيات بهم ولكن تقدُّم العلوم الطبيَّة والتدابير الصحيَّة سيقلل موتى الاطفال فيصل الذكور والاناث الى سن الزواج والذكور اكثر من الاناث عددًا وحينئذٍ يصير الانتخاب للزوجة فلا يجد الضعاف والفاسدون زوجات لهم فينقطع نسلهم و يبقى نسل الاقوياء والفضلاء

ولا بدَّ من ان نُعتبر مسألة الزواج وإخلاف النسل من المسائل ذات الشأن في تربية الاحداث فنُوجه افكارهم اليها في السن المناسب ونُشرح لهم منافعها ومضارها ونبين لهم فضائل العائلة وطرق الاعتناء بالاطفال فيميل كلٌّ من الزوجين الى التنفيش عن الصفات الفاضلة في زوجهِ . وهذا يدعو الى جعل المعلمين والمعلمات ولاسيما الذين يعلمون الشبان والشابات من المتزوجين ومن خيرة الازواج

وقد شرع الناس في اتباع هذه الخطط في اكثر البلدان الاوربية ولا بدَّ من تغلُّب القوى والفضيلة مع الزمان وهذا مستقبل العمران ومصير الانسان "

ومفاد ماذهب اليهِ ابن خلدون ان الشرور تزيد بزيادة العمران ومفاد ما ذهبتم اليهِ ان الفضائل تزيد بزيادتهِ فنرجو من ارباب الاقلام وفطاحل الكتاب ان ينبضوا في هذا الموضوع ويمحنونا بما عندهم من الادلة والبراهين لان المسألة ذات بال بل هي اعظم المسائل شأنًا

مصر مستفيد

القطن المصري

حضرة منشئي المقتطف الفاضلين

لا يخفى ان مصر بلاد زراعيَّة وان زراعة القطن فيها اعظم مصادر ثروتها . وليس فيها معامل لغزل القطن ونسجهِ فيرسل الى البلاد الاجنبيَّة ليغزل فيها وينسج ثم تعاد منسوجاتهُ الى بلادنا لتباع فيها بثمن فاحش بالنسبة الى ثمنهِ الاصلي اذ يضاف اليهِ اجرة النقل ذهابًا وايابًا وعوائد الكمرك ذهابًا وايابًا وربى الاموال التي يشترى بها واجرة السماسرة والتجار الخ . ويعلم اصحاب المعامل الاجنبيَّة ان مصر مفتقرة الى اصدار قطنها الى بلادهم لان ليس له معامل فيها ولذلك نراهم يتصرفون في الاسعار كما يشاؤون حتى اذا دام الحال على هذا المنوال اضحت سوق القطن في كساد تام وعندي ان الطريقة الواقية من الوقوع في

ذلك ان تنشأ شركة مساهمة في القطر المصري تقيم معامل لغزل القطن ونسجه واني ادعو ارباب الاقلام ورجال التجارة للبحث في هذا الموضوع وانهاض الهمم عسى ان يكون من ذلك فائدة للوطن

مصر جبرائيل روفائيل

غرائب البطون

عندنا رجل حرفته الصباغة يأكل ما يأكلهُ ثلاثون رجلاً . ومن نوادره انهُ تعهد مرةً بشرب ١٦ اقة من اللبن ممزوجة بثلاث اواقٍ من زيت البترول فشرب اللبن والزيت واخذ على ذلك ريالاً مجيديًّا . واكل مرةً اخرى عشرين اقة من المشمش دفعة واحدة . ويقال ان بعضًا طبخوا حريرةً في مرجل كبير (والحريرة اكلة تطبخ عندنا يوم عيد العازار) وكانوا قد صبغوا حريرًا وغزلاً في ذلك المرجل فلما ذاقوا الحريرة وجدوها مرة الطعم فدعوا هذا الرجل وقالت له ربة البيت اجلس وكل من هذه الحريرة وانا ذاهبة لاحضر لك دبسًا ثم عادت بالدبس بعد حين فرأته قد اكل الحريرة كلها اما هو فأخذ الدبس منها وشربهُ كما يشرب الماء

ويحكى ان امرأته طبخت مرةً كرش جمل وقالت له اذهب وابتع لنا خبزًا فقال لها اني تعب فاذهبي انت وابتاعي الخبز فذهبت وعادت بعد حين واذا بزوجها قد اكل الكرش كلهُ . وهذا الرجل لا يأكل كذلك الاَّ متى قصد واما اكلهُ العادي فغير مفرط

حمص كامل سليمان الخوري

باب الزراعة

المخمر صندوق الاقتصاد

صندوق الاقتصاد او صندوق التوفير يضع فيهِ الانسان ما يقتصدهُ من الاموال القليلة فتربو مع رباها وتصير مالاً وافرًا يغني صاحبهُ وقت الحاجة . وهذا شأن المخمر بالنسبة الى الفلاَّح فانهُ يلقي فيهِ كل نفايات بيتهِ واطيانهِ كالكناسة وفضلات العلف والحشائش واوراق الاشجار وما يخرج من تطهير الترع ونحوها فتخمر بعضها مع بعض وتصير سمادًا من اجود انواع السماد . وكان الفلاَّحون يعتمدون على هذا المخمر قبلما كشف علم الميكروبات سبب